الشيخ:

هذه مقدمة كتاب (حلية طالب العلم) ، ذكر المؤلف فيها عددا من الأمور ،

الأمر الأول: السبب الذي دعاه لتأليف هذا الكتاب وهو أنه رأى نهضة علمية مباركة من شباب الأمة نحو تعلم العلوم الشرعية النافعة في الدنيا والآخرة ، ولذلك خشي أن يكون هذا التعلم غير منضبط بالضوابط الشرعية فيؤدي إلى مفاسد عديدة، ويؤدي إلى تضييع أوقات الشباب بما لا ينفعهم ، ويقول بأنه قد بذل خُطوة في هذا في "رسالة التعالم" ، من أجل بيان من اندس في طلب العلم وهو ليس من العلماء ليُحذَر منه ومن أجل ألا يُطلب العلم على يده ،

ثم بعد ذلك بين أنَّ هذه الشريعة مبنية على الأخلاق الفاضلة ، وأنَّ أهل الإسلام يتمسكون بالخلق الطيب ، ومن أولى من يتمسك بالخلق الطيب هم علماء الشريعة ، ولذلك ألف هذه الرسالة في بيان آداب الشرع من أجل أن يتمسك بها المتعلِّمون.

الأمر الثالث : أنه من سنة العلماء التي توارثوها ، ورثها الصغير عن الكبير ، أنهم يتعلمون آداب طلب العلم قبل بدئهم بتعلم العلوم ، فلا بد أن نسير على هذه الطريقة لأنَّ هذه الأمة المحمدية لا تجتمع على ضلالة ،

ولذلك بعد ذلك أوصى بوصية التزام دراسة آداب طلب العلم قبل دراسة ذات العلم ، سواءً كان في المساجد أو في دور التعلم ، ثم بعد ذلك ذكر المؤلف أنواع هذه الآداب وأيضا ذكر سببا رابعا : وهو أنه من فاتته هذه الآداب فاته خير كثير وفاته علم بسبب عدم تأدبه بآداب التعلم.

ثم ذكر أنَّ هذه الآداب منها ما يختص به طالب العلم ومنها ما يكون لكل مسلم ، وذكر أنَّ هذه الآداب منها ما يُعرف بالطبع ومنها ما يُعرف بما وُرث عن العرب ، ومنها ما يُعرف بالشرع ، وما عُرف بالطبع يُعرف أيضًا بالشرع ، لكن توافق عليه الأمران ، ثم ذكر أنَّ هذا الكتاب لم يُعن باستيفاء الآداب ، وإنما ذكر أمثلة ونماذج من أجل أن تُفهم بقية المسائل بواسطة هذه الآداب التي ذكرها المؤلف في هذا الكتاب. نمر على بعض الألفاظ الموجودة في الكتاب لعلنا إن شاء الله نفسِّر شيئا من هذه الألفاظ.

قال المؤلف: (يعايشون يقظة علمية) يعني : أنَّ المسلمين أصبح في حياتهم ومما شاع بينهم التوجه إلى العلم الشرعي وتعلُّم هذا العلم ، وهذا -أي اليقظة العلمية- كأنهم قد أفاقوا من السبات والنوم إلى التعلم ، قال: (تَتَهلَّل لها) يعني : أنَّ سُبُحات الوجوه -وهي قسمات الوجوه وما فيها من أجزاء- تتهلل بمعنى أنها تفرح ويظهر منها أثر الاستبشار، ثم قال: (ولا تزال تُنشِّط متقدمةً إلى الترقي والنضوج) : الترقي : الصعود إلى أعلى ، والنضوج : أن يكون الشيء على تمامه بحيث يكون على أكمل وجوهه، قال: (في أفئدة شباب الأمة مجدها ودمها المُجدِّد لحياتها) : لأنَّ هذا العلم هو الذي يجدد للأمة حياتها ويعيدها إلى الهدي النبوي ، ثم قال : (نرى الكتائب الشبابية تَتْرى) يعني : تأتي طائفة بعد طائفة ، (يتقلبون في أعْطاف العلم)عِطْف الثوب : جانبه وطرفه الذي يتحلى به ، قال: (مُثقلين بحمله يعُلُّون منه وينهلون) ، مامعنى يعُلُّون منه وينهلون؟ النَّهَل: الشرب أول مرة ، والعَلَل: الشرب في المرة الثانية ، (فلديهم من الطموح) يعني :الرغبة الجامحة في التعلم ، (والجامعية) يعني : الرغبة في جمع أكبر قدر من العلوم ، (والإطلاع المدهش) يعني : الذي يجعل الإنسان يعجب به ، (والغوص على مكنونات المسائل) يعني : المسائل الخفية الغامضة التي يضعها أهل العلم في غير مواطنها ، (ما يفرح به المسلمون نصرا فسبحان من يحيي ويميت قلوبًا) : فحياة القلوب هي في العلم وموت القلوب بترك التعلم.

(لكن لابد لهذه النواة المباركة من السَّقْي) بحيث (نُمدها) بطرائق التعلم وآداب التعلم ، (والتعهد في مساراتها كافة) يعني : في الطرق المتعددة التي يسلكونها في طلب العلم ، (نشرا للضمانات) يعني : للحواجز التي تحجز هؤلاء الشباب عن الضلال والإضلال وعن الإسفاف في التعامل والخلق ، (التي تكف عنها العَثار) وهو : السقوط أول مرة ، (والتعثُّر) يعني : السُّقوط الشديد الذي لا يتمكن الإنسان من التجاوز لمكان السقوط مرة أخرى ، (في مثاني الطلب والعمل) لأنَّ هناك ، (تموُّجات فكرية) يعني : أنه هناك أمور ناتجة عن أفكار بعض الناس ، وذلك أنَّ الشياطين تُلقي في قلوب بعض العباد وساوس يظنونها مَعْقولات وأفكارا ، فيبثونها ويكتبونها ويتكلمون بها في وسائل الإعلام فتسبب موجات فتن مختلفة ، وهناك أيضا (تموجات عقدية) ، فهؤلاء على الطائفة الفلانية ، وهؤلاء من الطائفة الفلانية ، كيف نَقي شبابنا من هذه التموجات؟ ،

لابد أن يكون ذلك من خلال تعلمهم لآداب طلب العلم ، وكذلك في الأمور (السلوكية) فيما يفعلونه ويؤدونه من السلوكيات والتصرفات التي قد يكون منشؤها ناشئًا من شرق أو غرب ، ولابد عندنا من أن نتعلم الآداب لنقي هؤلاء الشباب الذين توجهوا للعلم من العثرات السلوكية ، وهكذا أيضا فيما يتعلق بتقسيم أهل الإسلام وجعلهم طوائفَ وأحزابا يعادي بعضهم

بعضا ، إذ أنَّ هناك من يحاول أن يفرّق المسلمين ويوجِد الشَّتات بينهم ، ولذلك لابد أن نعطي آدابا واضحة تجمع أبناء الأمة ليكونوا على طريقة واحدة وهيئة واحدة ، ينطلقون من الكتاب والسنة ، وكلما رجع الناس إلى الكتاب والسنة كان ذلك سببا لتآلف قلوبهم ومحبة بعضهم لبعض وجعلهم أمة واحدة ويدا واحدة على من سواهم ، وكلما ابتعدوا عن الكتاب والسنة كلما حصل النزاع والشقاق والتطاحن والتقاتل بينهم ، ومن هنا نعلم أنَّ التآلف بين القلوب نعمة ربانية تكون لمن تمسك بكتاب الله وسنة رسوله قال تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }

رسالة التعالُم : رسالة قد ألَّفها الشيخ رحمه الله لبيان صفات أولئك الذين يدَّعون العلم ، ويحاولون أن ينسِبوا إلى أنفسهم علوما وهم ليسوا كذلك ، وليسوا من أهل العلم في شيء ، وإنما يُريدون إظهار أنفسهم ، وأذكر أنَّ الشيخ ضرب لذلك أمثلة فقال: (الطُّبولِيون)، وقال: (الخُنفِشاريُّ)، وقال وقال، ولعل هذا يأتي إن شاء الله في هذا الكتاب.

قال:(خشية أن يُردُوهم) يعني : أنا أخشى أن يأتي هؤلاء المتعالِمون لطلاب العلم ، فيكون ذلك سبباً لجعل طلاب العلم يَتَردَّون ولا ينتفعون بالعلم ، (ويضيّعوا عليهم أمرهم)؛ بأن يوجهوهم إلى غير العلم النافع ، أو يعطوهم معلومات خاطئة ، أو يُدلوهم على طرائق مخالفة لطرائق أهل العلم ، ويبعثروا مسيرتهم في الطلب ، كم وجدنا من هؤلاء المُتعالمين من صدّ الطلاب عن طلب العلم باسم طلب العلم ، ثم قال: (فيَسْتَلُّوهم وهم لا يشعرون) ، يعني : يستخرجوهم استخراجا لطيفا ، كما يقال استَلَّ الشعرة من العجين ، يعني : استخرجها استخراجاً لطيفا.

قال: (واليوم أخوك) ، يقصد المؤلف نفسه ، (يشُد عضدك ، ويأخذ بيدك ، فاجعل طَوع بنانك رسالة تحمل الصفة الكاشفة) ، الصفات على نوعين ؛ صفة كاشِفة توضِّح وتبيّن الموصوف ، وهناك الصفات التي يُراد بها إعمال مفهوم المخالَفة وتسمى (الصفة المُقيّدة) ، عندما تقول رجل طويل ، طويل كاشف ، وصفٌ كاشف ، وعندما تقول أعتق رقبةً مؤمنة ، معناها أنك تقول في الكفارة لا تعتق غير الرقبة المؤمنة. قال: (لحليتك) ، الأصل في الحلية ما يلبسه النساء من الذهب والفضة ونحو ذلك ، وهنا المراد به الآداب التي يتأدب بها طالب العلم فتظهر أمام الناس.

قال: (فها أنا ذا أجعل سِنَّ القلم عل القِرطاس) ؛ يعني : طرف القلم ، (فاتْلُ ما أرقم لك) ، يعني : اقرأ ما كتبته لك ، (أنْعَم الله بك عَينا)، يعني : أنني أدعو الله- عز وجل- أن تنعَم العيون برؤيتك.

ثم قال: (لقد تواردت موجِباتُ الشرع على أن التحلِّي بمحاسن الآداب) إلى أن قال:(سمة أهل الإسلام) ، يعني : صفتهم الظاهرة ، السمة هي الصفة الظاهرة.

(وأنَّ العلم هو أثمن دُرَّة في تاج الشرع المطهَّر) ، الدرة نوع من أنواع الجواهر، والتاج هو ما يلبس على الرأس ، (لا يَصل إليه إلا المتحلي بآدابه) ، المتحلي يعني : المتصف بالصفة الظاهرة ، (المتخلي عن آفاته) ، يعني : التارك للأخلاق الرديئة التي تكون سببا لفوات العلم ، وتكون من آفاته.

(ولهذا عناها العلماء) يعني : الآداب بالبحث والتنبيه ، إلى أن قال: (والشأن هنا في الآداب العامة لمن يسلك طريق التعلم الشرعي) ، يعني : أنني سأخصص كتابي في آداب طالب العلم.

ثم ذكر بعد ذلك ما يتعلق بتتابع الناس على تعلم آداب التعلم.

قال: (فإليك حليةً) ، يعني : أهدي إليك حلية ، (تحوي مجموعة آداب، نواقضها)، يعني : يضادها (مجموعة آفات) ، فأنت إذا عرفت هذه الآداب، عرفت ما يقابلها من الآفات ، (فإذا فات منها أدب، اقترف المفرط آفة من آفاته، فمُقِلٌّ ومُستَكثِر) وبعض هذه الآداب سنة ، وبعضها واجب ، وكذلك ما يقابلها من الآفات منها ما هو مكروه ، ومنها ما هو محرم. ما المراد بالسنة؟

هو المستحب ، النَّفل ، الندب ، الذي طلبه الشارع طلباً غير جازم ، يُؤجر صاحبُه ولا يُعاقب تاركُه ، لكن لا ينبغي لطالب العلم أن يتركه ؛ لأن طلبة العلم هم أعلى الأمة بعد الأنبياء والصحابة ، ولذلك يُشرع لهم أن يلتزموا هذه السنن ، أما الواجب فهو : ما طلبه الشارع طلباً جازماً ، بحيث يُؤجر فاعله متى فعله لله ، ويُعاقب تاركُه ، والمراد بالمكروه هو : ما نهى عنه الشارع نهيًا غير جازم ، بحيث يُؤجَر تاركُه متى تركه لله ، ولا يُعاقَب فاعلُه ، وأما المحرَّم فهو : ما نهى عنه الشارع نهياً جازماً ، بحيث يأثم فاعلُه متى فعله قصدًا عمدا ، ويُؤجَر تاركه متى تركه لله.

قال: (هذه الآداب منها ما يشمل كل مكلف، ومنها ما يختص به طلبة العلم) إلى أن ذكر قوله: (فإذا وافقت نفسا صالحة لها) ، من يتلقى العلم ، منهم من يكون عنده استعداد ونفس مهيَّأة لطلب العلم ، وبالتالي تتقبل العلم ، وتهتدي به ، وتلتزم

به كما قال تعالى:{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} ، فهؤلاء عندهم نفوس صالحة ، أسأل الله- جل وعلا- أن يجعل نفوسنا وإياكم صالحة لذلك. فهذه النفوس إذا قبلت هذه الآداب كثَّرتها واستفادت منها ، وإذا وجدت كلاما مختصَرًا ، فصَّلته وعرفت المراد به ، والمعاني التي اشتملها ذلك الكلام. فمن أخذ بهذه الآداب انتفع في نفسه ونفع غيره ، وهذه الآداب مأخوذة من الكتاب والسنة ، ومأخوذة من سِيَر سلفنا الصالح الذين قال الله فيهم:{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } ، فأثنى عليهم لكونهم اتبعوا سلفنا الصالح ، وقال سبحانه:{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}.نعم.

الفصلُ الأوَّلُ :

آدابُ الطالبِ في نفسِه

العِلْمُ عِبادةٌ :

أصلُ الأصولِ في هذه (الْحِلْيَةِ)، بل ولكلِّ أمْرٍ مَطلوبٍ عِلْمُك بأنَّ العِلْمَ عِبادةٌ، قالَ بعضُ العُلماءِ : (العِلْمُ صلاةُ السِّرِّ ، وعبادةُ القَلْبِ)

وعليه ؛ فإنَّ شَرْطَ العِبادةِ :

١-إخلاصُ النِّيَّةِ للهِ سبحانَه وتعالى ، لقولِه :{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ...} الآيةَ .وفي الحديثِ الفَرْدِ المشهورِ عن أميرِ المؤمنينَ عمرَ بن الْخَطَّابِ رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ ...)) الحديثَ .

فإنْ فَقَدَ العِلْمُ إخلاصَ النِّيَّةِ ، انْتَقَلَ من أَفْضَلِ الطاعاتِ إلى أَحَطِّ المخالَفاتِ ولا شيءَ يَحْطِمُ العِلْمَ مثلُ الرياءِ : رياءُ شِرْكٍ ، أو رياءُ إخلاصٍ ومِثْلُ التسميعِ ، بأن يَقولَ مُسَمِّعًا : عَلِمْتُ وحَفِظْتُ .

وعليه فالْتَزِم التَّخَلُّصَ من كلِّ ما يَشوبُ نِيَّتَكَ في صِدْقِ الطلَبِ كحبِّ الظهورِ ، والتفوُّقِ على الأقرانِ ، وجَعْلِه سُلَّمًا لأغراضٍ وأعراضٍ من جاهٍ أو مالٍ أو تعظيمٍ أو سُمْعَةٍ أو طَلَبِ مَحْمَدَةٍ أو صَرْفِ وُجوهِ الناسِ إليك ، فإنَّ هذه وأَمثالَها إذا شابَت النِّيَّةَ أَفْسَدَتْها وذَهَبَتْ بَرَكَةُ العِلْمِ ولهذا يَتَعَيَّنُ عليك أن تَحْمِيَ نِيَّتَكَ من شَوْبِ الإرادةِ لغيرِ اللهِ تعالى ، بل وتَحْمِي الْحِمَى .

وللعُلماءِ في هذا أقوالٌ ومَوقفٌ بَيَّنْتُ طَرَفًا منها في الْمَبْحَثِ الأوَّلِ من كتابِ (التعالُمِ) ويُزادُ عليه نَهْيُ العلماءِ عن (الطَّبُولِيَّاتِ) وهي المسائلُ التي يُرادُ بها الشُّهْرَةُ .

وقد قيلَ: (زَلَّةُ العالِمِ مَضروبٌ لها الطَّبْلُ)

وعن سفيانَ رَحِمَه اللهُ تعالى أنه قالَ :(كُنْتُ أُوتِيتُ فَهْمَ الْقُرْآنِ ، فَلَمَّا قَبِلْتُ الصُّرَّةَ سُلِبْتُهُ)

فاستَمْسِكْ رَحِمَك اللهُ تعالى بالعُروةِ الوُثْقَى العاصمةِ من هذه الشوائبِ ، بأن تكونَ مع – بَذْلِ الْجَهْدِ في الإخلاصِ – شديدَ الخوفِ من نَواقِضِه ، عظيمَ الافتقارِ والالتجاءِ إليه سبحانَه .

ويُؤْثَرُ عن سُفيانَ بن سَعيدٍ الثوريِّ رَحِمَه اللهُ تعالى قولُه : (مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي)

وعن عمرَ بن ذَرٍّ أنه قالَ لوالدِه : يا أبي ! ما لَكَ إذا وَعَظْتَ الناسَ أَخَذَهم البُكاءُ ، وإذا وَعَظَهم غيرُك لا يَبكونَ ؟ فقال : يا بُنَيَّ ! لَيْسَت النائحةُ الثَّكْلَى مثلَ النائحةِ المستأْجَرةِ .

وَفَّقَكَ اللهُ لرُشْدِكَ آمِينَ .

٢- الْخَصْلَةُ الجامعةُ لِخَيْرَيِ الدنيا والآخِرةِ (مَحَبَّةُ اللهِ تعالى ومَحَبَّةُ رسولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وتَحقيقُها بتَمَحُّضِ المتابَعَةِ وقَفْوِ الأَثَرِ للمعصومِ .قال اللهُ تعالى : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } وبالجُملةِ فهذا أَصلُ هذه (الْحِلْيَةِ)، ويَقعانِ منها مَوْقِعَ التاجِ من الْحُلَّةِ .

فيا أيُّها الطُّلابُ ها أنتم هؤلاءِ تَرَبَّعْتُم للدَّرْسِ وتَعَلَّقْتُمْ بأَنْفَسِ عِلْقٍ (طَلَبِ العلْمِ) فأُوصِيكُمْ ونَفْسِي بتَقْوَى اللهِ تعالى في السرِّ والعَلانيةِ فهي العُدَّةُ ، وهي مَهْبِطُ الفضائلِ ، ومُتَنَزَّلُ الْمَحَامِدِ وهي مَبعثُ القوَّةِ ومِعراجُ السموِّ والرابطُ الوَثيقُ على القُلوبِ عن الفِتَنِ فلا تُفَرِّطُوا .

هنا (http://afaqattaiseer.net/vb/showthread.php?t=2067#.VBjH7VcR3gE)

شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله (مفرغ)

الفصلُ الأوَّلُ :

آدابُ الطالبِ في نفسِه

أولاً العلْمُ عِبادةٌ :

أصلُ الأصولِ في هذه (الْحِلْيَةِ)، بل ولكلِّ أمْرٍ مَطلوبٍ عِلْمُك بأنَّ العِلْمَ عِبادةٌ، قالَ بعضُ العُلماءِ : (العِلْمُ صلاةُ السِّرِّ ، وعبادةُ القَلْبِ)

الشيخ:

نعم العلم عبادة لا شك بل هو من أجل العبادات وأفضل العبادات حتى أن الله تعالى جعله في كتابه قسيما للجهاد في سبيل الله الجهاد المسلح فقال جل وعلا: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} ليتفقهوا يعني بذلك ؟ الطائفة القاعدة { لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)) فإذا رزقك الله الفقه في دينه والفقه هنا يعنى به العلم بالشرع فيدخل فيه علم العقائد والتوحيد وغير ذلك فإذا رأيت أن الله من عليك بهذا فاستبشر خيرا لأن الله تعالى أراد بك خيرا . وقال الإمام أحمد: العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته. قالوا: وكيف تصح النية يا أبا عبد الله؟ قال : ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره .

القارئ:

الفصل الأول:

آداب الطالب في نفسه :

العلم عبادة : أصل الأصول في هذه "الحلية" بل ولكل أمر مطلوب علمك بأن العلم عبادة، قال بعض العلماء: "العلم صلاة السر، وعبادة القلب". وعليه، فإن شرط العبادة إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، لقوله: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ }، الآية. وفي الحديث الفرد المشهور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما الأعمال بالنيات) الحديث.

فإن فقد العلم إخلاص النية، انتقل من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات، ولا شئ يحطم العلم مثل: الرياء؛ رياء شرك، أو رياء إخلاص ، ومثل التسميع؛ بأن يقول مسمعاً: علمت وحفظت.

وعليه؛ فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب؛ كحب الظهور، والتفوق على الأقران، وجعله سلماً لأغراض وأعراض، من جاه، أو مال، أو تعظيم، أو سمعة، أو طلب محمدة، أو صرف وجوه الناس إليك، فإن هذه وأمثالها إذا شابت النية، أفسدتها، وذهبت بركة العلم، ولهذا يتعين عليك أن تحمى نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى، بل وتحمى الحمى.

وللعلماء في هذا أقوال ومواقف بينت طرفاً منها في المبحث الأول من كتاب "التعالم"، ويزاد عليه نهى العلماء عن "الطبوليات"، وهى المسائل التي يراد بها الشهرة.وقد قيل: "زلة العالم مضروب لها الطبل" . وعن سفيان رحمه الله تعالى أنه قال: "كنت أوتيت فهم القرآن، فلما قبلت الصرة، سلبته" .

فاستمسك رحمك الله تعالى بالعروة الوثقى العاصمة من هذه الشوائب؛ بأن تكون - مع بذل الجهد في الإخلاص - شديد الخوف من نواقضه، عظيم الافتقار والالتجاء إليه سبحانه.ويؤثر عن سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى قوله: "ما عالجت شيئاً أشد على من نيتي".وعن عمر بن ذر أنه قال لوالده "يا أبي! مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بنى! ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة. وفقك الله لرشدك آمين.

الخصلة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وتحقيقها بتمحض المتابعة وقفوا الأثر للمعصوم.قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}.

وبالجملة؛ فهذا أصل هذه "الحلية"، ويقعان منها موقع التاج من الحلة.

فيا أيها الطلاب! ها أنتم هؤلاء تربعتم للدرس، وتعلقتم بأنفس علق (طلب العلم) ، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، فهي العدة، وهى مهبط الفضائل، ومتنزل المحامد، وهى مبعث القوة، ومعراج السمو، والرابط الوثيق على القلوب عن الفتن، فلا تفرطوا.

الشيخ:

هذا هو الأدب الأول من آداب طالب العلم ، والمؤلف رحمه الله تعالى قسَّم آداب طلب العلم إلى آداب الطالب في نفسه ، وآداب متعلقة بكيفية الطلب والتلقِّي ، وآداب الطالب مع شيخه ، وأدب الطالب مع زميله ، وأدب الطالب في حياته العلمية ، وآداب متعلقة بالعمل في العلم ، ثم هناك محاذير متعلقة بطلب العلم. إذن قسَّم المؤلف كتابه إلى سبعة فصول:

الفصل الأول في آداب طالب العلم في نفسه ، طالب العلم في نفسه لابد أن يلتزم بآداب شرعية محددة ، أولها : أن يعلم أن طلب العلم عبادة ، ويترتب على ذلك أنه لابد أن يلتزم بشروط العبادات.

متى تكون العبادة صحيحة؟ إذا وُجد فيها شرطان ، الشرط الأول: الإخلاص لله ، والشرط الثاني: المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون عمل الإنسان على وفق الشريعة. قال تعالى:{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}. (عملا صالحا) يعني : يكون فيه متبعًا ، (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) يعني : أنه يخلص عمله لله ، فينوي بأعماله وجه الله والدار الآخرة. جاء في تفسير قوله تعالى:{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} ، قال الفضيل بن عياض: (أحس عملا أن يكون صوابًا خالصا) ، صوابًا يعني : على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ، خالصًا يعني : بنية لله. إذا تقرَّر هذا فإنّ في الشرط الأول ، وهو ما يتعلق بإخلاص النية ، هناك نصوص كثيرة تدل على وجوب إخلاص النية في جميع الأعمال ، ذكر المؤلف منها قوله تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } ، وحديث: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)) ، وبين أنه إذا لم ينو الإنسان بطلبه للعلم وجه الله والدار الآخرة كان مشركًا ، وكون الشرك يكون في معابد المشركين هذا نستنكره، لأنه فساد ، فإذا وُجد في بلاد الحرمين استنكرناه أكثر ، فإذا وُجد في بيوت الله في المساجد كان استنكارنا له أعظم ، وما زاد إلا أولئك الذين يريدون بطلب العلم غير وجه الله تعالى. استمع لما يقوله ــ جل وعلا- فيمن أراد بعمله الدنيا :{ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُون} ، واسمع قول الله تعالى:{ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} ، ولذلك على كل منا أن يحرص على إخلاص النية في طلب العلم ، ماذا ننوي؟

ننوي إرضاء رب العالمين ، ننوي رِفعة الدرجة في الجنة ، ننوي الحصول على الدرجات.

فإن قال قائل: ما هي أوجه ترك هذا الأدب ، أدب الإخلاص في طلب العلم؟

نقول هنا أمثلة أولها : الرياء ، رياء الشرك ، بأن يقول أنا أتعلم من أجل أن أكون صاحب منزلة عند الناس ، أو أتعلم من أجل أن يتكلم الناس في علمي ويثنوا عليَّ ، أومن أجل أن يقول الناس ما أكثر محفوظاته.

قال:(ومثل التسميع) ، بأن يقول مسمِّعًا للناس: أنا علمت بكذا ، وأنا حفظت كذا ، بحيث يكون له منزلة.

ومثَّل المؤلف بما يُفقد فيه الإخلاص: بحب الظهور ؛ حتى يعرفني الناس ، ويكون لي معرفة ، ويعرفني من في مشارق الأرض ومغاربها ، إذًا هذا ليس من الإخلاص في شيء ، أو يكون مقصوده التفوق على الأقران ، من أجل أن أكون الأول على زملائي ، ومن أجل أن أكون سابقًا لفلان أو لفلان ، أو (سُلَّمًا لأغراض وأعراض) بحيث يقول : أنا أريد أن يكون لي أموالٌ كثيرةٌ بسبب طلبي العلم ، أو أريد أن يكون لي منزلة ، وبالتالي إذا طلبت من شيء من أحد من المسئولين أمرًا من الأمور استجابوا لي ، أو يكون لي منزلة وجاه بحيث إذا شَفَعت لأحدٍ من قرابتي شُفِّعْتُ فيه ، أو أن يُعظِّمني الناس في المجالس ، إذا دخلت في المجلس وضعوني في صدر المجلس ، أو لِيُقبِّلوا رأسي. كل هذه أغراض فاسدة تخالف الإخلاص في النية. إذا تقرر هذا ، إذا حصل شيء من هذه الأمور ، ولم تكن من قصد الإنسان ، ولا تكون له ذات قيمة ومنزلة ، فهذه لا تؤثِّر عليه ، لو حصل أنَّ عالم أصبح الناس يُقبِّلون رأسه ، لم يكن قاصدًا لذلك ولا مريدًا له ، وأَذِن لهم ليكون ثوابًا لهم ؛ لأن الإنسان لا يستفيد من تقبيل الناس لرأسه شيئًا ، بل قد يؤذونه ويؤلمون رقبته ، فالمستفيد المُقبِّل لا المُقبَّل ، فحينئذ لا يَلتفت إليه ولا يكون له منزلة في نفسه. وجاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أنَّ أول من تُسعَّر بهم النار ثلاثة ؛ منهم القارئ ، وفي لفظ العالم ، الذي جاء الله به يوم القيامة ، فعرَّفه نعمه وقال: ما عملت؟ قال: تعلَّمت العلم فيك ، ونشرته من أجلك. فقال الله: كذبت ، إنما تعلمتَه ليقال عالمٌ ، أو قارئٌ فقد قيل ، ثم أُمِر به إلى نار جهنم ، والعياذ بالله. أتعب نفسه في الدنيا ، ولم يُحصِّل ثمرةً في الآخرة. وجاء في سنن أبي داوود : أنَّ من تعلم علمًا مما يُبتغى به وجه الله ليصرف وجوه الناس إليه ، لم يجد رائحة الجنة ، فالأمر خطير وليس الأمر بالسهل. وذكر المؤلف أيضا عددا من الآثار المتعلقة بهذا.

الشرط الثاني: المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّ من لم يُتابع الهدي النبوي في العبادة فإن عبادته مردودة ؛ لأنها تكون بدعة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)؛ أي : مردود على صاحبه. وقال صلى الله عليه وسلم : (كلُّ بِدْعةٍ ضَلالة) ، والله - جل وعلا- يقول:{ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} ، ولذلك جاءت النصوص بالأمر باتباع هدي النبي الكريم ، فقال سبحانه: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}، { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}، {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} ، ولذلك يحرص الإنسان على اقتفاء الهدي النبوي وخصوصًا في طلب العلم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد وفَد عليه الطلاب وعلَّمهم ، وجعل لهذا التعلم آدابًا وسننًا وطرائق ، ولذلك لابد أن نقتدي بهذا الهدي الكريم ، ولا يمكن أن نقتدي بهذا الهدي الكريم حتى نتعلم السنة الواردة في ذلك ، إذ كيف تقتدي بشيء أنت لا تعرفه ؟ ، إذا تقرر هذا فلعلنا نأخذ كلام المؤلف ، قال: (العلم عبادة) ،يقصد بالعلم: العلم الشرعي ؛ لأنه مما يَتمحَّض أن يكون عبادة ، والناس فيه على ثلاثة أصناف ؛ من جعله لله من أن أجل أن ينيله الآخرة ، فهذا مؤمن موحِّد مُثاب ، الثاني : من جعله لله لينيله الله الدنيا ، فليس له في الآخرة من خلاق ، الثالث: من قصد به الدنيا مباشرة ، فهذا مشرك آثم مستحقٌّ للغضب دنيًا وآخرة.

قال المؤلف:(أصل الأصول) ، هذا الأصل يعني يتعلق بالنية ويتعلق بالمتابعة ، (قال بعض العلماء: "العلم صلاة السر، وعبادة القلب") ؛ لأن العلم منشؤه ذاتي من القلب ، والنية فيه تكون مما يَختص أو مما يُضمر في القلوب.

قال المؤلف: (في الحديث الفَرد المشهور) (الفرد) : يعني أنه غريب رواه راوٍ واحد عن راوٍ واحد عن راوٍ واحد ، وذلك أنَّ هذا الحديث قد رواه يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التَّيمي عن علقمة بن وقَّاص عن عمر بن الخطاب ، فهو فردٌ في أربع طبقات من إسناده ، (مشهور) : لأنه اشتهر بعد ذلك على الألسن واستفاض فقد رواه عن يحيى بن سعيد قرابة مائتي راوٍ.

قال المؤلف: (فإن فقد العلم إخلاص النية، انتقل من أفضل الطاعات إلى أَحطِّ المخالفات) : لأنه حينئذٍ يكون شركًا ؛ إما شركًا أكبر وإما شركًا أصغر؛ ومثَّل المؤلف له بالأمثلة ، قال: (ويزاد عليه نهي العلماء عن "الطُّبوليات") ، يأتي الإنسان بالمسألة الغريبة فينشرها في وسائل الإعلام، ثم يأتي ضعاف القلوب فيُصفِّقون لها ويُطَبِّلون لها وينشرونها في الأمة ، ولذلك نقل هذه الكلمة "زلة العالم مضروب لها الطبل"، لو يأتي إنسان غير معروف بعلم فيكتب كتابة مخالفة لما استقر في علم الشريعة ، طمست ولم يكن لها أثر ، وإنما نخشى من زلة العالِم ؛ فإنه يَزِلُّ بها عالَم ، ولذلك هذا ما أراده المؤلف بهذه الكلمة ، قال سفيان: "كنت أوتيت فهم القرآن" ، يعني معرفة معاني آيات القرآن وأسراره وحِكمه وتمكنت من استنباط الأحكام منه ، " فلما قَبلْت الصُرَّة" -أخذت المال من الناس- ، سُلبت هذه القدرة وهي فهم القرآن ، وحينئذٍ يحذر الإنسان- طالب العلم - من مثل هذا ، فإنه يكون سببًا من أسباب عدم فهمه للعلم ، وفي أوله فهم القرآن ، ما أوتي من هذا المال بدون طلب وبدون إشْراف نفس ولم تتعلق نفسه به وقضى حوائجه ، فحينئذٍ لا يلحقه به حرج كما ورد في حديث عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ((ما أُوتيت من هذا المال غير مُشرف له نفسك، فخذه وتَموَّله)) ، ثم ذكر المؤلف قول سفيان أيضا " ما عالجت شيئا أشدَّ علي من نيتي" النية سهلة على من سهَّلها الله عليه ، في لحظة وفي ثانية تتمكن من قلب نيتك وتجعل أعمالك لله ، وفي نفس الوقت هي صعبة عسيرة ؛ لأن الناس يغفلون عنها من جهة ؛ ولأن

الشيطان يحرص على إفساد النوايا ؛ لأن النية عظيمة النفع ، كبيرة الأثر ، هي جالبة البركة ، ومن ثَمَّ فالشيطان يحرص على إفساد النيات من أجل هذا الأمر.

قال المؤلف: (الخصلة الجامعة) يعني الشرط الثاني من شروط العبادة : المتابعة ، والمتابعة هي الجالِبة لمحبة الله وبمحبة رسوله ، كما قال تعالى:{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} ، قال: (وبالجملة فهذا أصل هذه الحلية) ، الذي هو الإخلاص والمتابعة ، (ويقعان منها موقع التاج من الحلة) ، هي أعلى شيء وأبرك شيء وأعظم شيء وأكثر شيء آثار ، الإخلاص والمتابعة. نعم